العلاقة بين الأرض والشخصيتين الفلسطينية والإسرائيلية فى رواية "גדר חיה جدار حى"

الباحثة/أمانى ربيع عبدالوهاب
لدرجة الماجستير بقسم اللغة العبرية كلية الاداب جامعة المنوفية

المقدمة

ارتبط تاريخ المجتمع الإسرائيلي بالصراع, وتمحور هذا الصراع بين جماعتين: اليهود والعرب. وقد كان هذا الصراع يتركز حول مسألة السيطرة على الأرض. فقد نظر العرب واليهود إلى هذا النزاع على أن مكسب الطرف الأول منهما يعد بالضرورة خسارة للطرف الثاني. من هنا لم يكن هناك أى أساس للافتراض بأن تحقيق مصالح الجماعة الأولى يمكن أن يفيد الجماعة الثانية.[1]

ويعد النزاع الإسرائيلى العربى فى أساسه صداما بين حركتين قوميتين على قطعة واحدة من الأرض. وكان شراء الأرض منذ بداية الاستيطان هدفا قوميا مؤكدا عند اليهود ولكنه شكل خطرا قوميا عند العرب. ويلعب المكون العاطفى الرومانسى لحب الوطن وترابه فى أية حركة قومية دورا هاما يحول الأرض إلى رمز, إلى أسطورة, إلى موضوع أقرب إلى القداسة الدينية. واحتل هذا المكون كذلك مكانا رئيسيا فى الحملات الأيديولوجية والتعبيرات الثقافية الكثيرة للحركتين القوميتين, اليهودية الصهيونية والعربية. ولم تكن الأرض بالتالى مجرد رمز فقط, كما تسبب أيضا النزاع على قطعة واحدة من الأرض, والذى أدى إلى مشكلة لأكثر من مليون لاجئ يهودى _ كما أشار بنى موريس فى بحثه_ "فى إحدى المشاكل المستعصية على الحل فى هذا العالم", كما تسببت كذلك فى مشكلة اللاجئين الفلسطينيين.[2]

وقد أخذت حالة الصدام مع العربى الفلسطيني, اتجاهات عديدة فرضتها الظروف والأحداث التى وقعت على مدى القرن العشرين بين كل من اليهود والعرب, حيث حاول كل طرف من[3] أطراف الصراع أن يثبت حقه فى الوجود على هذه الأرض, وأن يدافع عن إدعاء استمرارية هذا الوجود فيها.[4]

وتطرق هذا الفصل إلى انتماء الشخصيتين الفلسطينية والإسرائيلية إلى أرض واحدة مشتركة, ثم الحديث عن علاقة الفلسطينى بالأرض من النكبة إلى العودة, منذ تشريده

---

(1) نهلة صلاح منصور أحمد : السيرة الذاتية عند عاموس عوز دراسة فى رواية" قصة عن الحب والظلام , رسالة ماجستير, جامعة عين شمس, 2010, ص133.

(2) دان أوريان: شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى, ت\محمد أحمد صالح, المشروع القومى للترجمة, المجلس الأعلى للثقافة, 2000, ص150.

(3) عمرو عبد العلى علام: الأدب العبرى الحديث, مرجع سابق ص3.

(4) عمرو عبد العلى علام: الأدب العبرى الحديث, مرجع سابق, ص3.

وضياعه بفعل نكبة العام 1948 التي لحقت بالشعب الفلسطيني والإرهاب الذى مارسته المنظمات الصهيونية من عمليات اقتلاع وطرد ونفى وتشريد الفلسطينيين خارج ديارهم وممتلكاتهم وخارج وطنهم. حتى عودته إلى أرض فلسطين والتركيز علي إبرازحق العودة الفلسطينى, و تغير ملامح أرض الوطن, وبعد ذلك تشجيع ودعوة يهود العالم إلى الهجرة إلى أرض فلسطين, ويخلص هذا الفصل إلي عرض وجهة النظر الإسرائيلية فى أن حل النزاع الإسرائيلى الفلسطينى حول الأرض يتحقق بإقامة دولتين متجاورتين مستقلتين, والخوف من إقامة الدولة الواحدة لأن من شأنها أن تؤدى إلى تعاظم القوات القومية المتطرفة التى تهدف إلى تصفية إسرائيل. وهو ما ظهر واضحا فى النماذج المقتبسة من الرواية محل الدراسة.

أرض مشتركة:

توضح الكاتبة عدم تآلف الشخصيتين الفلسطينية والإسرائيلية مع المكان الذى انتقلا إليه, إذا غمرهما إحساس بانعدام الثقة والغربة خارج أرضهما, فهذا البلد يجعل من الشخصيتين ترفضا التأقلم معه لعدم توفر الأحوال الجوية الملائمة فيزيد من الغربة الجسدية ويزيد من التوتر النفسى, ويظهر هذا عندما تصف ليئات أحد الشتاءات النيويوركية, فتقول:

"הקור הזה, יותר מכל מופעי החורף האחרים, הררי השלג והרוחות האטלנטיות ושאון סוף העולם של הברד והגשם הקפוא, הסכינאי, המעורבב במכיתות קרח, גשם שכמוהו לא הכרתי קודם- יותר מעריצותם המתמשכת של הסופות והסערות והשיטפונות, הוא שממרר את חיינו. לנו זה קור טראומטי, קור זר, גופינו שוב ושוב נדהמים, לא מאמינים ,מסרבים להסתגל[5].

החורף טורף את כל הקלפים, מערבב בינינו לבלי הכר. קפואים ומייבבים ,מצוננים ומשועלים רוב הזמן, חילמי ואני דומים זה לזה אף יותר משהיינו. בקור הארקטי, הצפון-אמריקאי העמוק הזה, שנינו בני המזרח, לבנטיניים עד כאב.

ארעיותנו בניו יורק, חוסר האמון והניכור שהרגשנו לא פעם כלפי אורחות החיים האמריקאיים, מתחדדים בתנאי מזג האוויר הקשים ונחשפת הגלותיות שלנו , נחשפת עד העצם זרותנו בחלק הזה של כדור הארץ.[6]

"هذا البرد, أكثر من كل الموجات الشتوية الأخرى, قمم الجبال المغطاة بالثلوج والرياح الأطلسية وضجيج نهاية العالم من البرد والمطر المتجمد العنيف, الممزوج بشظايا جليدية, مطر لم أرى مثله من قبل- أكثر من طغيان العواطف والأعاصير والفيضانات المستمر, انه

(5) דורית רביניאן: גדר חיה, עמ' 172.
(6) דורית רביניאן: גדר חיה, עמ' 172.

يمرر حياتنا. بالنسبة لنا هذا برد صادم, برد غريب,يجعل أجسادنا تندهش مرارا وتكرارا, غير مصدقة ترفض التأقلم.

يمزق الشتاء كل البطاقات, يخلط بيننا وبين الغير معروف. معظم الوقت متجمدون ونصدر أنينا ومصابون بالزكام والسعال, حيث حلمى وأنا نشبه بعضنا البعض أكثر من السابق ففى هذا البرد القطبى الشمال أمريكى العميق, كلانا أبناء الشرق, أبناء الشام بشكل مؤلم.

وقتيتنا فى نيويورك, وانعدام الثقة والغربة التى شعرنا بها فى كثير من الأحيان إزاء أنماط الحياة الأمريكية, تتضح فى الأحوال الجوية الشديدة وتُظهر شتاتنا, وتظهر اغترابنا حتى العظم فى هذا الجزء من الكرة الأرضية".

تؤكد الكاتبة من خلال الفقرات السابقة انتماءهما إلى أرض واحدة؛ إلى الشرق؛ إلى أرض الشام؛ معلنة بذلك أن فلسطين هى وطن للفلسطينيين والإسرائيليين, كما توضح الفقرات السابقة تأثير الأمكنة الأخرى على نفسية الشخصيتين ومعاناتهما من الشتات والاغتراب التى عانيا منها منذ خروجهما من أرضهما.

علاقة الفلسطينى بالأرض:

من النكبة إلى العودة:

تتحدث الرواية عن الإنسان الفلسطينى وتشريده وضياعه بفعل نكبة العام 1948 التي لحقت بالشعب الفلسطيني والإرهاب الذى مارسته المنظمات الصهيونية من عمليات اقتلاع وطرد ونفى وتشريد الفلسطينيين خارج ديارهم وممتلكاتهم وخارج وطنهم. فعبر حلمى بريشته فى لوحة جدارية عن التشريد والضياع الذى تعرض له الفلسطينى منذ اقتلاعه من أرضه بفعل النكبة, فتصف لنا ليات ما تضمنته تلك اللوحة:

"את כל החלל שמעל למיטה מילאו קווים עדינים, ובכולם הופיעה דמות אחת, דמות של ילד, שראשו גדול ומלא תלתלים כראשו של חילמי, גופו צנום וגפיו ארוכות, צמידי חרוזים ענודים על מפרקי ידיו ועל קרסוליו, וגם כפות רגליו ענקיות. ובכל הרישומים עיניו עצומות, אולי ישן ואולי מת. הוא לבש מין כתונת לילה או גלבייה רחבה, וריחף לו באוויר, נישא כמו חוט רפוי בין שמים לארץ, בדאייה שיכורה, נוצתית, בהבעה מתמכרת. פעם בשמי עיר גדולה, ופעם מעל לים באישון לילה. פעם שט בין ציפורים בחדר סגור, ופעם בין עננים בתוך קרון רכבת. ולא רק הריחוף הזכיר לי את שאגאל, את הדמויות המאוהבות המעופפות בציוריו, גם משהו באופי התם של הקווים והפרטים העלה על דעתי מין שאגאל ערבי כזה, ערבסקי. כמו רעמת התלתלים והריסים הארוכים של הילד, הסתלסל והתערסל גם

העולם סביבו – ציפורים ודגים, פרחים ועצים, אנטנות על הגגות, אדוות המים וקרני השמש, בכולם התגלגלו גלי תלתלים רכים, ומרישום לרישום הזדככה תחושת המעוף, איבריו החוטים של הילד חגו והסתחררו, ואתם חגה אותה הבעה שיכורה, החיוך הכבוש בפליאתו, אותה שכחה עצמית, שנראתה בוודאי גם על פני ".[7]

" وكانت خيوط دقيقة تملأ كل الفضاء الذى يعلو الفراش, وظهرت فى جميعها شخصية واحدة, شخصية طفل, ذو رأس كبير أجعد الشعر تشبه رأس حلمى, جسمه نحيف وأطرافه طويلة, وتزين معصميه وكواحله أساور من الخرز, وأيضا ضخم القدمين. وفى كل الرسومات عيناه مغلقتان, ربما نائم وربما ميت. كان يرتدى نوعا من ثوب النوم أو جلابيه فضفاضة, يرفرف فى الجو, يحمل مثل خيط متراخ بين السماء والأرض, يحلق ثملا, كالريشة وبتعبير وجه كالمدمن. مرة فى سماء مدينة كبيرة, ومرة فوق البحر فى ظلام الليل .مرة كان يحلق بين الطيور فى غرفة مغلقة, ومرة بين الغيوم داخل عربة قطار.

وليس فقط حالة التحليق ذكرتنى بالفنان شاجال[8] و الشخصيات العاشقة المحلقة فى لوحاته, أيضا شيئا فى طبيعة الخطوط البسيطة والتفاصيل أوحى لى بشاجال عربى أرابسكى. مثل شعر الطفل المجعد المتدلى والرموش الطويلة, كما كان العالم حوله متشابك ومتأرجح – طيور وأسماك, زهور وأشجار, هوائيات على الأسطح, وسلسلة أمواج خفيفة وأشعة الشمس, وفى جميعهم كانت خصلات شعر ناعمة متبعثرة, ومن لوحة إلى أخرى كان يتضح شعور التحليق, كانت أطراف الطفل الخيطية تحلق و تلُف, وكان يحلق معه نفس التعبير الإدمانى, وابتسامته المندهشة المسيطرة عليه, كما يحلق نفس فقدان الذاكرة الذاتى, الذى تراءى بالتأكيد على وجهى.

وتوضح الفقرات السابقة أن ملامح الطفل فى هذه اللوحة تدل على الحرمان والضياع. وتحليق هذا الطفل ما بين السماء والأرض ووجوده مرة فى سماء مدينة كبيرة, ومرة فوق البحر, ومرة يحلق بين الطيور ومرة بين الغيوم يدل على عدم الاستقرار وفقدان الأرض/الوطن. فالمنفى مخالف لما هو مستقر وآمن وثابت. إنه ليس معادلًا للحياة. إن

---

[7]() דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'61 .

[08] مارك شاجال : رسام وحفار من أصل يهودى روسى ولد فى فيتبسك عام,1887وعين مفوضا للفنون فى فيتبسك بعد ثورة اكتوبر حيث اسس أكاديمية للفنون. ثم غادر الاتحاد السوفياتى ليستقر فى باريس, بعد جولات عديدة فى العالم الغربى. وسافر إلى فلسطين عام 1931 لكى يحضر رسوماته لكتاب التوارة. طبعت اعماله الفنية فى كثير من الاحيان بطابع ''فانتيزى ''وبطابع فولكلورى يهودى.

اسحق دويتشر: دراسات فى المسألة اليهودية, ت/ مصطفى الحسينى, ط1, دار الحقيقة للطباعة والنشر, بيروت, 1971, ص153.

الشتات، الحياة بعيدًا عن الوطن، هي الحياة في حالة تغير مستمر, يعني حالة غير مستقرة وعابرة.[9]

وتواصل الكاتبة الحديث عن المتاعب التى واجهها الإنسان الفلسطينى من خلال ما رواه حلمى عن متاعب عائلته كعائلة لاجئة بفعل النكبة وجاء هذا من خلال حوار دار بين الشخصيتين، فعندما توقف كل من "ليات" و "حلمى" فى أحد المعارض فى مدينة سوهو الأمريكية لعرض عدد من اللوحات التى رسمها، سألت ليات حلمى عن معنى الكلمات المكتوبة أسفل اللوحات "מסמייה אל-זר'ירה " فشرح لها حلمى بالتفصيل عن قصة عائلته: קראתי את מה שצוין שם באותיות דפוס מעל לשם האמן ושנת היצירה ומידות הבד: "Masmiye el-zerira 2", "Masmiye el-zerira 3".

כשיצאנו לרחוב שאלתי אותו מה זה אומר , "מסמייה אלזרירה?"

"אל-זר'ירה," הוא אמר, "זה הכפר שלנו-"

"איזה כפר?"

התקרבתי אליו, לא מבינה, "חשבתי שאתם מחברון-"

"מחברון," הוא הנהן, "אבל רק מאז שישים ושבע.[10]

قرأتُ ما سُجل هناك بحروف مطبوعة فوق اسم الرسام وسنة الإنتاج وقياسات القماش:

"Masmiye el-zerira2", "Masmiye el-zerira3"

"عندما خرجنا إلى الشارع سألتُه ماذا تعنى "المسمية الصريرة؟"

عدلها: الصغيرة, هذه قريتنا-"

" أى قرية؟"

اقتربتُ منه, فى عدم فهم, كنتُ أظن أنكم من الخليل-"

"من الخليل," أومأ, "لكن فقط منذ 67.

أوضح حلمى لليات أن رام الله تعتبر فى الوقت الحالى المحطة الأخيرة فى تنقلات العائلة. فمنشأ العائلة هو فى "المسمية الصغيرة ". ثم هربا والداى خلال حرب 1948 من الصغيرة إلى معسكر اللاجئين فى أريحا, وفى حرب 1967 انتقلوا من أريحا إلى الخليل, وبعد اعتقاله عندما كان فى الثانوية انتقلوا مرة أخرى من الخليل إلى رام الله".

כשההורים שלי ברחו במלחמה מהמחנה פליטים ביריחו-"

---

(9) Schulz , Helena Lindholm ; Hammer , Juliane . The Palestinian Diaspora : Formation of Identities and Politics of Homeland . Routledge Taylor & Francis Group . London and New York 2003 . p . 10 .

(10) דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'180 .

ברחו? מחנה פליטים? משום–מה חשבתי שהוא בא ממשפחה בורגנית, משפחה חברונאית ותיקה מדורי דורות, מבוססת, שורשית כזאת. מחברון לרמאללה, זכרתי מהסיפורים שלו, הם עברו כשהיה בתיכון, ויריחו, פתאום לא הייתי בטוחה, זה איפשהו בבקעת הירדן, לא? זכרתי שהשלטים מכוונים לשם בירידות לים המלח, "אז הכפר," מבטי שוטט רגע בין רגלי העוברים ושבים, "מסמיי–"

"מסמייה אל–זר'ירה–"

"זה ליד יריחו?"

הוא פלט צחוק קצר, מופתע: "לא, לא–"

ובמבטו המגחך המגשש בין האנשים עבר צל כאוב כשנפנה אלי, "הכפר שלנו היה קצת דרומה מליד–"

הוא ביטא את שם המקום בניגון של ציפייה, כאילו הוא נותן לי רמז, " איפה שעכשיו זה השדה תעופה שלכם–"

"לוד?"

"שיהיה לוד–" [11]

"هرب والداى أثناء الحرب من مخيم اللاجئين فى أريحا.

هربوا؟ مخيم لاجئين؟ بطريقة أو بأخرى ظننته أنه جاء من عائلة برجوازية, عائلة خليلية مخضرمة متوارثة, راسخة ومتجذرة أو ما شابه.

من الخليل إلى رام الله, تذكرتُ من قصصه, انتقلوا عندما كان فى المرحلة الثانوية, وأريحا, فجأة لم أكن متأكدة, أنها فى مكان ما فى غور الأردن, أليس كذلك؟ تذكرتُ أن اللافتات توجه إلى هناك فى منحدرات البحر الميت, "حيث القرية,"

جال بصرى لحظة بين أقدام المارة, "المسمي–"

"مسمية صغيرة –"

"أتقع بالقرب من أريحا؟"

اطلق ضحكة قصيرة, مندهشا: "لا, لا–"

و فى نظرته المبتسمة المستطلعة بين الناس مرّ خيال مزعج وهو يلتفت إلىّ: قريتنا كانت تقع بانحراف قليل من جنوب مدينة اللد –"

تفوه اسم المكان بلحن مع ترقب, وكأنه يُلمّح لى, "حيث مطاركم الآن–"

"اللد؟"

(11) דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'181 .

"لتكن اللد–"

عنون حلمى لوحته بالمسمية الصغيرة حيث أراد أن يعبر من خلالها عن معاناة أسرته والتشرد الذى ألحقه بها الصهاينة. يذكر أن أهل المسمية الصغيرة ناضلوا كباقى القرى والمدن الفلسطينية ضد سلطات الإحتلال الإنجليزى التى تقوم بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وإعطائهم مساحات واسعة من الأراضى الفلسطينية كما شاركوا فى نصب الكمائن للقوافل الصهيونية ووضع الألغام وإيقاع الخسائر بها ولكن ميزان القوى احتل فى أوائل 1948م بسبب تدفق الأسلحة على الصهاينة من أمريكا وبريطانيا قاموا بالهجوم على القرى الفلسطينية,[12]

فقد احتلوا هذه القرية فى 8–1948/7/9م وتقول مجلة التايمز الأمريكية أنها احتلت فى نفس الوقت الذى احتلت فيه الجلدية والتينة ويقول بينى موريس المؤرخ الصهيونى أن العملية التى قام بها لواء جفعاتى خلال الأيام العشرة بين الهدنتين كانت السبب فى تهجير سكان قرية المسمية الصغيرة والكبيرة.

ولم يبقى من هذه القرية أى معلم من معالمها تقريبا, والموقع مغطى بالحشائش البرية الطويلة وأشجار الكينا المبعثرة. ويقول بينى موريس أن المستعمرة التى سميت مسمية بيت ثم سميت لاحقا مسمية شلوم يبدو أنها تقع فى المسمية الكبيرة وكذا مستعمرة كفار هاريف 1956م.

وهكذا أصبح أهل المسمية لاجئين مشردين فى مخيمات قطاع غزة والضفة منذ احتلالها إلى اليوم ينتظرون العودة إلى ديارهم.[13]

عودة الفلسطينى إلى الأرض:

يتدخل نظام الحكم العسكرى الإسرائيلى فى جميع مجالات حياة المواطن العربى فى إسرائيل حيث قامت السلطات الإسرائيلية بتقسيم المناطق التى يسكنها العرب, ولكل منها حاكم عسكرى له عدة صلاحيات منها تحديد حرية التنقل؛ حيث لا يسمح للعربى بالانتقال من منطقة إلى أخرى إلا بتصريح خطى من الحاكم العسكرى, ويحق للحاكم أن يمنع إعطاء مثل هذا التصريح دون إبداء الأسباب وفى حالة إعطائه فإنه يتضمن قيودا كثيرة.[14]

وفى الرواية تجسد الكاتبة رحلة معاناة حلمى أثناء عودته إلى أرض فلسطين؛ فتتحدث عن الإجراءات الإسرائيلية من مسارات الفحوص والحواجز وساعات الانتظار حتى العودة المؤقتة إلى البيت, فتنقل ليات ما جرى لحلمى أثناء العودة:

---

(12) جميل عبدالرحيم السحار: قرانا الفلسطينية المدمرة, مركز التأريخ والتوثيق الفلسطينى, ط1, 2011, ص152.
(13) جميل عبد الرحيم السحار: قرانا الفلسطينية المدمرة, مرجع سابق, ص152.
(14) محمود على صميده: الشخصية الفلسطينية فى القصة العبرية القصيرة, مرجع سابق, ص132.

"ולשמוע שהוא הגיע לפני ארבעה ימים, "או אולי בעצם חמישה? אני כבר לא זוכר." לשמוע שוב על הטיסה מניו יורק לציריך, ועל העיכוב בטיסת ההמשך לעמאן,על השבוע אצל אחותו בירדן, משם כתב לי את האי-מייל האחרון וסיפר בו שהוא ישן כל הימים ובלילה בוהה בתקרה. ועל הדרך בחזרה לגדה דרך מעבר אלנבי, לשמוע על התורים הארוכים ועל שעות ההמתנה, על מסלולי הבדיקות ועל המחסומים שהיה עליו לעבור ברגל עם המזוודה".[15]

"وأن أسمع أنه وصل قبل أربعة أيام, "أو ربما خمسة فى الحقيقة ? أننى لا أتذكر حقا." أن أسمع مرة ثانية عن رحلة الطيران من نيويورك إلى زيوريخ, وعن التأخير فى رحلة الربط إلى عمان, على الأسبوع الذى قضاه لدى أخته فى الأرد, حيث كتب لى من هناك الرسالة الإلكترونية الأخيرة وحكى لى أنه نام طوال النهار والليل محدقا فى السقف. وعن طريق العودة إلى الضفة عبر معبر اللنبى, أسمع عن الصفوف الطويلة وعن ساعات الانتظار, وعن مسارات الفحوص وعن الحواجز الموضوعة التى كانت تحتم عليه العبور مشيا على الأقدام مع حقيبة السفر.

وتواصل الكاتبة فى الحديث عن تقييد حرية التنقل أمام الفلسطينى فأصبحت الطرق الواصلة بين المدن والقرى الفلسطينية طويلة وشاقة يمضى الفلسطينى فيها وقتا طويلا, حيث لا يسمح للفلسطينى بالمرور من الطرق الرئيسة, وسلك الطرق الالتفافية والجبلية, فتصف الراوية الطريق الطويل والممل الذى يقطعه الفلسطينيين ونستشف ذلك من الفقرات التالية:

"הם מספרים לו על מישהו שהם מכירים מקלנדיה. נהג מונית אחד, אח של חבר של חבר, שהיה אתמול במסיבה- הם מספרים לו משולהבים, משלימים זה את דברי זה- שנוסע היום לתוך ישראל. הוא יוצא בסביבות אחת עשרה מקלנדיה, בעוד פחות משעה, וצריך להגיע עד הצהריים לתל אביב כדי להעביר איזה משלוח. הם כבר דיברו אתו בטלפון והוא הסכים לקחת אותם ולהחזיר אותם בערב, יש לו מקום לארבעה אנשים. הוא רצה ארבע מאות שקל, אבל הם הצליחו להוריד אותו לשלוש מאות. לו עצמו יש ניירות לעבור את המחסום, אבל בשבילם אמר שיעקוף את החיילים, אין בעיה. ואם הם רוצים, הוא יבוא לאסוף אותם באחת עשרה מג'יפנה, וייסע דרך סורדא, דרך הגבעות.

הוא כבר שמע על הדרך המתפתלת הזאת, שעוקפת את המחסום בקלנדיה, הדרך הארוכה והמייגעת שנהגי הטרנזיטים עוקפים בה בשנים האחרונות את המחסום. הדרך

[15] דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'295.

שעושים פועלי הבניין, הגברים שיוצאים לחפש עבודה בישראל באישון לילה, שנוסעים בה מסורבי המעבר, חסרי הבררה, בטרנזיטים הכתומים שהוא רואה על הכביש לביר זית, רואה אותם עמוסים נוסעים וסחורות, חולפים בדהרה על פני ג'יפנה.[16]

"يحكيان له عن شخص يعرفانه من قلنديا. سائق سيارة, شقيق صديق لصديق, كان البارحة فى الحفلة– يحكيان له متحمسان, ويكملان كلام بعضهما البعض– أنه سوف ينطلق اليوم إلى إسرائيل. سوف يغادر قلنديا نحو الساعة 11, بعد أقل من ساعة, ويجب أن يصل عند الظهر إلى تل أبيب كى ينقل شحنة ما. لقد تحدثا بالفعل معه فى الهاتف ووافق أن يصطحبهم وأن يعيدهم فى المساء, لديه مكان لأربعة أشخاص. أراد أربعة مئات شاقل, لكنهما نجحا فى تخفيض المبلغ إلى ثلاثة مئات. بحوزته أوراق تمكنه من عبور الحاجز, لكن من أجلهم قال أنه سوف يتجاوز الجنود, لا يوجد مشكلة. ولو يرغبون, سوف يأتى و يصطحبهم فى الساعة 11 من جفنا, وسينطلق عبر سردا, عبر التلال.

لقد سمع عن هذا الطريق المتعرج, الذى يتجاوز الحاجز فى قرية قلنديا, الطريق الطويل والممل الذى يتجاوز عبره سائقو عربات النقل, الحاجز فى السنوات الأخيرة. الطريق الذى يشقونه عمال البناء, والرجال الذين يبحثون عن عمل فى إسرائيل فى جنح الليل, الذى يسافر عبره رافضى المعابر, الذين لا خيار لديهم, فقد رأى عربات النقل البرتقالية على الطريق إلى بير زيت مكتظة بالركاب والبضائع, يمرون أمام جفنا".

وكل تلك الإجراءات من أجل الحفاظ على الأمن الإسرائيلى لذلك فُرض على الفلسطينيين "حكم عسكرى" قيد حركتهم. فليس بإمكان الفلسطينى السفر من قريته إلى القرية المجاورة, ولا يستطيع شراء تراكتور أو إرسال ابنه للالتحاق بالدراسة – دون أن يحصل على موافقة الحاكم العسكرى. ويعنى ذلك تضييق الخناق أكثر وأكثر على الفلسطينيين لمغادرة أراضيهم؛ لتكون بعد ذلك يهودية خالصة.[17]

وبعد الإجراءات الإسرائيلية ومعاناة حلمى أثناء الطريق وعودته إلى أرضه، إلى بيت والداه في رام الله أولا، قام بتأجير بيت في قرية "جفنا" القريبة, منزل حجرى قديم مع شجرة توت ضخمة فى الفناء, ويتضح هذا فى الفقرات التالية:

(16) דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'313.

(17) د. عبدالخالق عبدالله جبه: المجتمع الإسرائيلى المعاصر السلطات والصراعات والتوترات, مطابع جامعة المنوفية, يناير 2018, ص163.

"הוא היה כל היום בג'יפנה. הוא אומר שזה כפר בדרך לביר זית, קצת צפונה מרמאללה, שזה מקום יפהפה,ומתחיל לספר על בית שראה שם,בית אבן ישן עם עץ תות ענקי בחצר,שעומד להשכרה".[18]

"كان طوال اليوم فى قرية جفنا. أخبرنى أن هذه قرية فى طريق بير زيت, شمال رام الله قليلا, وأنها مكان غاية فى الجمال, وبدأ يحكى عن البيت الذى رآه هناك, بيت حجرى قديم ذات شجرة توت ضخمة فى الفناء, معروض للإيجار".

ويعلق الكاتب الإسرائيلى يوسف أورن عن عودة حلمى قائلا "لقد حقق حلمى حلم العودة إلى قرية أجداده, عندما استأجر بيتا فى قرية جفنا, تقع فى بير زيت شمال رام الله, منزل حجرى قديم مع شجرة توت ضخمة فى الفناء, يطل على وادى وبساتين الزيتون والخوخ فى القرية –المنظر الطبيعى الذى يشير الى تجذر الفلسطينيين فيها–" [19]

علاقة الإسرائيلى بالأرض:

دعوة اليهود إلى الهجرة إلى أرض فلسطين/إسرائيل:

سعت الأيديولوجية الصهيونية منذ الإرهاصات الأولى إلى تحقيق عدة أهداف لحل ما يسمى بالمسألة اليهودية, ويمكن القول, إنه على الرغم من اختلاف الآراء والتناقضات بين التيارات الصهيونية باختلاف مدارسها, فإن هناك اتفاقا واسعا بينها حول الأهداف المرجوة. فلم يكن الاختلاف بين هذه التيارات إلا اختلافا فقط فى كيفية وأسلوب تحقيق الأهداف الصهيونية ويمكن لنا أن نعرض بإيجاز لأهداف الصهيونية, بصرف النظر عما تحقق منها أو لم يتحقق بعد, فى النقاط التالية:

(1) "الاتجاه نحو فلسطين" كان شعارا صهيونيا اتفق عليه الجميع من أجل قيام كيان يهودى خالص أو وطن قومى لشتات اليهود. ورأى الزعماء الصهيونيون أن أرض فلسطين هى أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. واتجهت الأنظار إلى أرض فلسطين لاعتبارات دينية يهودية وسياسية أيضا ولاعتبارات تاريخية حسبما يزعم الصهيونيون, حيث أشاع هؤلاء وجود نزعة تاريخية تربط بين يهود الشتات وأرض فلسطين.

"كما أن الوعد الإلهى والأنبيائى لبنى إسرائيل بإنهاء تشتتهم من خلال العودة إلى صهيون, كان هو المبدأ المركزى الذى يحرك الصهيونية, ويضفى عليها صفة الشرعية. ويجرى تفسيره كحق تاريخى (أو واجب) من قبل العلمانيين, وكحق دينى من قبل

(18) דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'297.

(19) יוסף אוררן: גדר חיה / דורית רביניאן - הנרטיב הפלסטיני ברומאן עברי,מגזין אימגו,ניתן למצוא ב http://www.e-mago.co.il/magazine/hedge.html,נכנס ב 27\1\2019 .

الصهيونيين الدينيين. وهكذا زرعت الصهيونية فى الوعى اليهودى عبر الأجيال فكرة العلاقة الوثيقة التى لا تنفصم بين الهوية الدينية والهدف السياسى لكل مرحلة".[20]

(2)"تجميع شتات اليهود" فى أرض فلسطين ودمجهم وذوبانهم فيما عرف بين الزعماء الصهيونيين ببوتقة الانصهار, هو أمر مهم بالنسبة لتحقق الصهيونية وبدونه لا يمكن قيام دولة لليهود ومن هنا كان تشجيع اليهود فى شتى بلدان العالم على الهجرة إلى أرض الميعاد.[21] وهذه الأيديولوجية تواصل رابينيان العمل على تحقيقها فنجدها فى الرواية تداعب مشاعر اليهود بتلك الفكرة وذلك من خلال إثارة مشاعر الحنين والشوق إلى أرض فلسطين/ إسرائيل, فتعبر ليات عن شوقها إلى البحر وسط حوار دار بينها وبين حلمى عندما سألها عن المكان التى كانت تقطن فيه, فردت ليات:

"גרנו ליד הים, בדירה של ההור –"

"באמת?" עיניו התעגלו פתאום, "ליד הים?"

תגובתו הצחיקה אותי. "שתי דקות מהחוף-"

"וואו, "הוא אמר, וכעבור כמה צעדים , והיה אפשר לראות את הים מהחלון?"

ולרגע ראיתי את הים קורץ אלי כמו שבר זכוכית כחולה מעל לדודי השמש ולצלחות הלוויין שעל הגגות, דחוק ברווח המדור שבין מלון שרתון לבניין סמוך. והתמלאתי מין רגשות כזאת, ובלב ובעיניים גואות פתאום הרמתי את ראשי לשמים. "אחח הים, הים, "שאפתי בגמיעה עמוקה את האוויר", "אין כמו הים-"

ראיתי שגם הוא הרים את מבטו, ובדיבור מתארך, חולמני כזה, אמרתי כמה נהדרות השקיעות בתל אביב בימים האלה, האחרונים של הסתיו, מה לא הייתי נותנת כדי להיות שם עכשיו, "לראות שקיעה אחת ולחזור לכאן-"[22]

" כנו נקטן קרב הבחר, פי שקה והדי–"

""חקא?" إסתדארת עיניה פجأة", קרב הבחר?

أُثير جوابه ضحكى?" دقيقتان من الشاطئ–"

قائلا" يا للروعة, "وتقريبا بضع خطوات, ومن الممكن رؤية البحر من النافذة؟"

وللحظة رأيت البحر يتلألأ نحوى مثل شظية زجاجية زرقاء التى تعلو سخانات الطاقة الشمسية وأطباق الأقمار الصناعية فوق الأسطح, محدود فى فراغ الزاوية التى بين فندق شيراتون ومبنى سموك.

---

(20) د.عمرو عبد العلى علام: الأدب العبرى الحديث, مرجع سابق, ص51.

(21) المرجع السابق, ص51.

22() דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'29.

وامتلأتُ بمثل هذا النوع من المشاعر, وبقلب وبعيون يملؤها الفخر فجأة رفعت رأسى إلى السماء. "آخ البحر, البحر," التقطتُ جرعة عميقة من الهواء, "لا مثيل لهذا البحر–"

رأيتُ أنه أيضا رفع بصره, وبحديث مطول, حالم مثل هذا, قلتٌ كم رائعا الغروب فى تل أبيب فى هذه الأيام, الأخيرة من الخريف, أود أن أكون هناك الآن, "لرؤية احد الغروب و أعود إلى هنا".

وفى نفس الإطار تستمر الكاتبة فى تشجيع اليهود على ترك المنفى والذهاب إلى أرض فلسطين/ إسرائيل ونجد هذا حينما كان والد ليات يحثها على ترك أمريكا والعودة إلى البيت:

"ומתי את חוזרת?" הוא התרעם פתאום, מתעורר משום מקום, "לא מספיק הנויורק הזה כבר?"

"אבא, אל תתחיל עם זה עוד פעם,אמרתי לך-"

"מה יש לך לחפש שם לבד, אני לא מבין-"

"במאי אני חוזרת, בעוד חודשיים-"

"טוב, תחזרי כבר הביתה, מספיק. את עוד צריכה להתחתן, להקים משפחה, בעזרת השם. נו, יאללה, תמצאי לך איזה בעל נחמד ותבואו ביחד-"[23]

"ومتى ستعودين؟" صاح فجأة, تيقظ من حيث لا أدرى, " ألا يكفى نيويورك هذه؟"

"يا أبى, لا تبدأ مع ذلك مرة أخرى، قلتُ لك–"

"عن ماذا تبحثين هناك وحدك, أنا لا أفهم–"

"سأعود فى شهر مايو, فى غضون شهرين–"

"حسنا, عودى إلى البيت, يكفى. كما يجب عليكِ أن تتزوجين وتأسسين عائلة, إذا أراد الرب. حسنا, هيا, تجدين زوج لطيف وتأتون سويا–"

وفى نفس الإطار تستمر الكاتبة فى تشجيع اليهود على ترك المنفى والذهاب إلى أرض فلسطين/ إسرائيل ونجد هذا حينما كان والد ليات يحثها على ترك أمريكا والعودة إلى البيت:

"ומתי את חוזרת?" הוא התרעם פתאום, מתעורר משום מקום, "לא מספיק הנויורק הזה כבר?"

"אבא, אל תתחיל עם זה עוד פעם,אמרתי לך-"

"מה יש לך לחפש שם לבד, אני לא מבין-"

"במאי אני חוזרת, בעוד חודשיים-"

(23) דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'248.

"טוב, תחזרי כבר הביתה, מספיק. את עוד צריכה להתחתן, להקים משפחה, בעזרת השם. נו, יאללה, תמצאי לך איזה בעל נחמד ותבואו ביחד-"[24]

"ومتى ستعودين؟" صاح فجأة, تيقظ من حيث لا أدرى, " ألا يكفى نيويورك هذه؟"

"يا أبى, لا تبدأ مع ذلك مرة أخرى، قلتُ لك–"

"عن ماذا تبحثين هناك وحدك, أنا لا أفهم–"

"سأعود فى شهر مايو, فى غضون شهرين–"

"حسنا, عودى إلى البيت, يكفى. كما يجب عليكِ أن تتزوجين وتأسسين عائلة, إذا أراد الرب. حسنا, هيا, تجدين زوج لطيف وتأتون سويا–"

موقف ليات السياسى تجاه الأرض: حل الدولتين

تؤمن ليات ذات الميول اليسارية بحق الشعب الفلسطيني في الحرية، وترفض كل الممارسات العدائية التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلى ضد أبناء الشعب الفلسطيني، وطالما تصادمت مع أفراد أسرتها ومعارفها بسبب إدانتها لممارسات الجنود في الأراضي المحتلة وتأييدها لإنهاء الاحتلال وحق الفلسطينيين في دولة مستقلة إلى جانب دولة إسرائيل, فتقول ليات:

"שמול הלהט הדו-לאומי שלו אני מגנה על העמדה הכול-ישראלית, זאת שבבית, בארוחות ערב שבת, התקוממתי נגדה.שם, מול חדשות סוף השבוע בטלוויזיה, היינו אחותי ואני מתעמתות עם אבא ואמא שלי, ואחר כך גם עם מיכה שהצטרף אליהם, ומאשימות את הכיבוש בכל הצרות, מגדפות את ממשלת הימין ואת המתנחלים.

ניסיתי את כל האמירות המוכרות: כמה תועלת תהיה במדינה פלסטינית עצמאית שתקום לצד מדינת ישראל, כמה ראוי להם לפלסטינים שיחיו בכבוד תחת דגל וממשלה משלהם. אמרתי שהגבול שיגדיר את החירות והעצמאות שלהם יהיה הגבול שיגדיר מחדש את השלווה והביטחון שלנו, "את השפיות שלנו. ואני רוצה את זה קודם כול מפני שאני ציונית, "אמרתי, "קודם כול כי אני דואגת לנו, מה יהיה עלינו אם נמשיך

ככה-"[25]

"أمام حماسه الثنائى القومية كنت أدين موقف كل إسرائيلى, ذاك الذى بالبيت, خلال وجبات ليالى السبت, وأثور ضده. هناك, أمام أخبار عطلة نهاية الأسبوع فى التلفاز, كنا

(24) שם, עמ'248.

(25) דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'194.

شقيقتى وأنا نقيم مواجهة ضد أبى وأمى, وبعد ذلك مع ميخا الذى انضم إليهم, ونلوم الاحتلال بكل صوره, ونلعن حكومة اليمين والمستوطنين.

جربت كل المقولات المعروفة ما مدى فائدة إقامة دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب إسرائيل, كم يستحق الفلسطينيون أن يحيوا بكرامة تحت علم وحكومة خاصة بهم. قلتُ أن الحدود التى ستحدد حريتهم واستقلاليتهم ستكون الحدود التى ستحدد من جديد سلامنا وأمننا, "وضوح رؤيتنا. وأنا أريد هذا قبل كل شئ لأننى صهيونية," قلت, "قبل كل شئ لأننى أشعر بالقلق علينا, ماذا سيحل بنا لو واصلنا هكذا "

ونؤكد على أن "الهاجس الأمنى" و"عقلية الحصار" عبارتان تردان فى الخطاب السياسى العربى لوصف إحدى جوانب الوجدان الإسرائيلى, وهو الانشغال المرضى بقضية الأمن. وقد وُصف هذا الانشغال بأنه "مرضى" لأنه لا يتناسب بأية حال مع عناصر التهديد الموضوعية (فالشعب الفلسطينى شعب موضوع تحت حكم عسكرى قاس, وموازين القوى العسكرية بين الدولة الصهيونية والدول العربية فى صالح إسرائيل. كما أن أكبر قوة عسكرية فى العالم, الولايات المتحدة, تقف بكل صرامة وراء الدولة الصهيونية.

وفى محاولة تفسير هذا الوضع, يذهب بعض الدارسين إلى أن تجربة الإبادة النازية قد تركت أثرا عميقا فى الوجدان اليهودى والإسرائيلى بحيث تَجذّر الخوف من الإبادة فى الوجدان وأصبح شيئا من قبيل العقدة التاريخية أو العقد النفسية الجماعية المتجذرة فى العقل الجمعى اليهودى رغم زوال العناصر الموضوعية. وقد يكون لهذا التفسير بعض المصداقية, وبخاصة أن الصهاينة والإعلام الغربى قد حولوا الإبادة النازية ليهود الغرب إلى ما يشبه الأيقونة التى لا علاقة لها بالزمان أو المكان وجعلوها مركز ما يُسمى "التاريخ اليهودى".[26]

وتواصل ليات رؤيتها فى أن حل النزاع الإسرائيلى الفلسطينى حول الأرض يتحقق بإقامة دولتين متجاورتين مستقلتين مقابل دولة ثنائية القومية التى يؤيدها حلمى ووشقيقه وسيم وأغلبية الشعب الفلسطينى, فتقول ليات:

"הוא עם ההזיות הדולאומיות העיוורות שלו, אוטם את האוזניים ודופק כמו ילד את הראש בקיר - הכול או כלום. ואני שוב עם אותה נוסחת פשרה ותיקה וחיוורת,[27] מדוקלמת לעייפה, של שתי מדינות. הוא עם החולמנות, הג'ון-לנונית התובענית הזאת שלו, יפת הנפש כאילו, האידילית, עדיין מייחל בעיניים בורקות, בתנועות ידיים רחבות, לפיוס בין העמים. ואני מתעקשת שוב, רוקעת ברגליים, מנופפת מולו בהיגיון

(26) د.عبدالوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية, مرجع سابق, ص267.
(27) דורית רביניאן: גדר חיה, שם, עמ'193.

המעשי הזה, הצנוע, מתחננת בשמו של אותו הסדר חלוקה מקומט, אפור משנים, קטנוני".[28]

"هو مع أوهامه الثنائية القومية العمياء, يصم آذانه ويخبط رأسه فى الحائط – كل شئ أو لا شئ, هكذا قال. وأنا اؤيد مرة أخرى نفس صيغة التسوية القديمة الركيكة والمرتلة حد الانهاك, التى تقضى بإقامة دولتين.

هو مع أحلامه اليقظة, الجون لينونية المِلحاحة تلك, السريعة التأثر إلى حد كبير, السلمية, حيث لا يزال يبدى أمله بعينين لامعتين وبحركات يد واسعة, فى المصالحة بين الشعبين. وأنا أصر مرة أخرى, وأنا أضرب الأرض بقوة, وألوح أمامه بهذا المنطق العملى, البسيط, متوسلة باسم نفس تسوية التقسيم المقلصة, الذى عفى عليها الدهر والتافهة".

وقد أصبح "حل الدولتين" اليوم يحظى بإجماع عالمى. يقبله معظم الإسرائيليين نظريا فقط حتى نتنياهو يتظاهر, فى بعض الأحيان, وكأنه يوافق عليه. لكن ما هى دوافعهم؟

يقبل الكثير من أنصار هذا الحل باعتباره الطريقة الوحيدة ل "الانفصال عن العرب والتخلص منهم". كما قال رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق إيهود باراك, مخترع تعبير "الفيلا فى الأدغال": فسيكون الفلسطينيون هناك ويكون الإسرائيليين هنا.

ولكن هذا لا يكفى!!! حيث يؤيد بعض الأشخاص هذا الحل لأنهم يخشون – بحق– أنه بدونه ستصبح إسرائيل دولة ثنائية القومية ذات أغلبية عربية.[29] بل ومن اليوم هناك تعادل سكانى فى المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الأردن, وتقول الاحصائيات أنه بحلول 2050 سيكون تعداد المواطنون العرب أغلبية فيما لو استمر الوضع على هذا النحو.

(28) שם, עמ'193.

(29) د. عبد الخالق عبد الله محمد جبه: المجتمع الإسرائيلى المعاصر- السلطات والصراعات والتوترات, مطابع جامعة المنوفية, 2018, ص68.